المحاضرة رقم 06: الحداثة الشعرية -2-

1-الحداثة الشعرية عند الغرب:

كان الشعر الذي أنتجته الحداثة الغربية تعبيرا عن قلق الإنسان الغربي وشكه في حضارته المادية التي لم تجلب إليه إلا الدمار والفناء، وبخاصة بعد الحربين العالميتين، فالعلم الذي كان معقد آمال الغربي لم يجلب له إلا القتل والدمار، والتقنية لم تجلب له إلا الخراب، ومن هنا أصبح الإنسان الغربي يحس بالغربة في المدينة العصرية، وينأى عن المجتمع، ويشعر بالعزلة عن أقرانه، وتتهاوى صلاته بالآخرين، ولذا أخذ شعراء الحداثة يعبرون عن هذا الخراب، ولا دل على ذلك من قصيدة (الأرض اليباب) للشاعر الأمريكي **توماس إليوت** التي يعبر فيها عن مأساة الإنسان المعاصر في الحضارة الغربية.

من هنا فشعر الحداثة في الغرب جاء احتجاجا على ما أصاب العقل الغربي من انهيار، وما حل بأوروبا من دمار في أعقاب حربين عالميتين.

2-الحداثة الشعرية عند العرب:

إن التنظير لحداثة الشعر العربي بدأت بعودة **يوسف الخال** من الولايات المتحدة إلى بيروت، حيث قام عام 1956 باتصالات عديدة مع العناصر الأدبية القادرة على الإسهام في خلق حركة شعرية حديثة، وقد تم التجمع وأعلن عن تأسيس مجلة فصلية بعنوان مجلة **"شعر"**، وهي مجلة موجهة لخدمة قضايا الشعر والدفاع عنها.

يرفض بيان **يوسف الخال** طبيعة معظم الشعر العربي الحديث، فلا يراه حديثا إلا بالمعنى الزمني للكلمة، فهو متخلف ومتأخر بالقياس إلى الشعر الأوروبي، ومقلد بالقياس إلى التراث الشعري العربي، حيث يقول: "إن الشعر اللبناني الحاضر شعر عربي تقليدي، وهو شعر متخلف عن هذا العصر، إنه شعر لا يختلف في خصائصه الجوهرية عن الشعر العربي التقليدي، فعمود الشعر هو هو، وحدة البيت لا القصيدة هي هي، الوزن والقافية لم يجر عليهما أي تعديل، الأغراض الشعرية القديمة ما تزال هي الأغراض الشعرية الحاضرة".

وعلى هذا الرفض يبني **يوسف الخال** الحداثة الشعرية التي تتآلف وتتماشى مع هذا العصر، مع الروح العلمية لهذا العصر، ومن هنا يربط التقدم الشعري بالتقدم العلمي، فحداثة يوسف الخال تدعو إلى تفجير الشكل الشعري التقليدي، وتوجيه البحث صوب أشكال إبداعية جديدة، قائمة على أنقاض عمود الشعر العربي القديم، ويدعو الخال الشعراء إلى الإفادة من التجارب الشعرية التي حققها شعراء العالم.

وبهذا يعتبر الخال حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر مرحلة فاصلة بين مرحلتين: قديمة وحديثة حررت الشاعر من أساليب المرحلة القديمة، وأفهمته أن الشعر يكتب بقوة الإلهام في حرية تام لا بقوة القواعد الفنية الموروثة، فالشعر عنده ليس هو الكلام الموزون المقفى، بل هو التعبير الذاتي الفريد عن رؤيا الشاعر تجاه الكون والحياة.

ومنه يعرف **يوسف الخال** لمستقبل الحداثة الشعرية في العالم العربي بقوله: "الحداثة في الشعر إبداع وخروج به على ما سلف، وهي لا ترتبط بزمن، فما نعتبره اليوم حديثا يصبح في يوم من الأيام قديما".

أما مقاربات **أدونيس** فقد كانت أكثر نضجا ومرونة، فهو شاعر يمتلك مخيلة إبداعية، وهو منظر وناقد عميق، يربط **أدونيس** حركة الحداثة الشعرية بروح الثورة والتمرد، ويحدث الحداثة بتأصيلها ويجعلها حركة ثورية حية تتغلغل إلى الأعماق وتعالج موضوعات روحية عميقة تتصل بالغور الإنساني المطلق، وينطلق الشاعر العربي من نظرة إلى الشعر تغاير النظرة القديمة، ومن هنا تشكل التجربة الشعرية الحديثة نوعا من الانقطاع عن القديم، هذا النوع من الانقطاع يظهره في طرق التعبير الجديدة التي تغاير القديمة السائدة؛ فالحداثة الشعرية عند **أدونيس** تقوم على التجربة، يعني على المحاولة الدائمة للخروج من طرق التعبير المستقرة؛ أي إعطاء الواقع طابعا إبداعيا حركيا.

3-مظاهر الحداثة الشعرية:

أ-اللغة الشعرية:

نتيجة للتحول الذي دعا إليه شعراء الحداثة فيما يتعلق بطبيعة الشعر، فقد تغيرت رؤيتهم للعديد من القضايا الشعرية، وكان من أول هذه القضايا قصية (اللغة الشعرية)، باعتبارها ركيزة من أهم الركائز الفنية التي يقوم عليها فن الشعر، وقد دعا شعراء الحداثة إلى تثوير اللغة والكتابة الشعرية، بهدف خلق لغة جديدة، تغاير نمط اللغة التقليدية، وذلك لعدم مناسبة اللغة التقليدية للتعبير عن واقعهم ومتطلباتهم المعاصرة.

ب-الإيقاع الموسيقي:

كان الشعراء في القديم يكتبون قصائدهم على نموذج (الصدر/ العجز) وينتهي البيت بقافية تحتوي على حرف واحد وهي ميزة القصيدة العمودية، وبقيت القصائد العربية على منوال الأوزان الخليلية وتفعيلاته إلى أن ظهرت حركة التجديد مع شعراء الحداثة من رواد الجيل الأول أمثال: (نازك الملائكة/ بدر شاكر السياب/ عبد الوهاب البياتي)، وهذه الحركة أحدثت تغيرا في العروض فلم تلتزم بالأوزان ولا بالقافية، فتخلصوا من قيد القافية وجعلوها متعددة مع اختلاف حرف الروي سواء من بيت لآخر أو في كل أبيات

القصيدة، كما أن ما يميز القصائد الحداثية عن العمودية هو اعتمادها على نظام السطر الواحد بدل الشطر.

ج-الفضاء النصي:

ويتجلى من خلال العديد من المظاهر أبرزها اعتماد علامات الترقيم داخل المتن الشعري، والتي باتت تتشكل في شكل دلالات أيقونية مختلفة خاصة، وأن لكل أيقونة دلالة خاصة بها، وقد جاءت النصوص الشعرية المعاصرة غنية بمختلف أنواعها من نقاط الوقف من استفهام، وتعجب، وفاصلة، وأقواس وغيرها.

تقوم هذه العلامات بعملية استنطاق النص أو محاولة إيجاد إجابة عن سؤال ما بات يؤرق قارئ النص كما تقوم بإحداث الصدمة لدى المتلقي كأن تثير انتباهه أو تزيد من إعجابه نحو نص/ قصيدة ما.

د-التكرار:

للتكرار في الشعر الحداثي أنماط عديدة سواء كان على مستوى الحرف الواحد أو الكلمة أو الجملة، ويعد هذا النوع من الوسائل التي يستحوذ فيها الشاعر على جمهوره عبر التركيز على ما يغذي فيه الوظيفة الإفهامية، وتعدد وسائل التكرار منها تكرار الصوت/ اللفظة/ الجملة.

هذا وتتجلى **مظاهر الحداثة الشعرية** في العديد من الصور الفنية والجمالية التي احتفى بها الشعر العربي المعاصر، من ذلك نذكر:

➢ تضخم الذات:

الذات الفردية أو الجماعية في شعر الحداثة ذات متضخمة، لا ترى شيئا أعلى منها، لعلنا نمثل هنا بقول **أدونيس**:

قم مع الشمس يا شبابي، وحرك

عالما ساهم البصيرة، جامد

أنت علمته الحياة قديما

وستبقى له دليلا ورائد

➢ الشعور بالاغتراب الروحي:

نجد شعر الحداثة مليئا بمعاني التمزق واليأس والعبث والاستسلام والغربة والقلق والضياع...وما إلى ذلك من المعاني، التي تبرز حالة الاغتراب الروحي التي يعانيها شعراء الحداثة العرب، من ذلك نجد مثلا **أدونيس** الذي يلح على هذه المعاني التي تبرز حالة شديدة الحدة من الاغتراب الروحي والقلق والعبثية، تتضح هذه الحالة من عنوان قصيدته (الفراغ) التي عبر فيها عن الفراغ والوحشة والملل والعبثية، يقول فيها:

حطام الفراغ على جبهتي

يمد المدى ويهيل الترابا

ويغلغل في خطواتي ظلاما

ويمتد في ناظري سرابا.

➢ اعتماد الرمز والأسطورة:

شاع في القصيدة العربية الحداثية عديد من الرموز الأسطورية من فرعونية/ فينيقية/ آشورية...، ويكفي نظرة على بعض دواوين الحداثة لتقع على سيل من الأساطير مثل: سيزيف، بروميثيوس، أوديب، أفروديت، أبولو، فاوست، زيوس، عشتار، أدونيس، تموز، جلجامش،...وغيرها مما غصت به القصيدة الحداثية.

ومن أبرز شعراء الحداثة الذين أولعوا بتوظيف الأسطورة نجد **بدر شاكر السياب** الذي تسربت الأسطورة إلى مكونات شعره الفنية والنفسية والفكرية؛ فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من رمز أسطوري، سواء كان التوظيف مباشرا كما في قصائده: (سربروس في بابل) و(تموز جيكور)، أو كان غير مباشر من خلال الإيماء والإيحاء كما في قصيدة: (أنشودة المطر).

المراجع المعتمدة في المحاضرة:

-إبراهيم محمد محمد عبد الرحمن، الحداثة الشعرية العربية رؤية موضوعية، مجلة البحث العلمي في الآداب (اللغات وآدابها)، 2020.

-فهد بن عبد الحميد مر عمر وآخرون، مفهوم الحداثة وإشكاليته: دراسة وصفية.

-عبد الرحمن إسماعيل محمود الدكروري، مدرسة الحداثة الشعرية في الوطن العربي دراسة في الأسس والمرتكزات الفكرية والفنية، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ع: 34، أكتوبر 2021.

-رضا عامر، الحداثة الشعرية (مظاهرها، خصائصها، تجلياتها)، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، مخبر الموسوعة الجزائرية، جامعة باتنة- الجزائر، مج: 1، ع: 1، 2019.